الحدث الذي يعتمده ، متحاشيا بتعسف ، بل متهربا من الاكثار في التفسير بربط الحدث الآني ـ الاقليمي بابعاده الاجتماعية ـ الاقتصادية التاريخية . هذه الاستعارة وهذا الاسلوب في رواية التاريخ شائعان لانهما يُغنيان الذاكرة ، ولكنهما غير كافيين بالتأكيد لانهما لا يغنيان العقل في تفسير التاريخ وفهمه .

وما دام المستقبل ليس صفحة مفتوحة او قدرا محتما ، بل هو احتمالات واختيارات نضعها نتيجة وعينا اياها ، فإن كتاب الشعيبي هذا ، ليس تأريخا لاحدى مسائل مرحلة مضت بوصفها أحد أشد مراحل النضال الفلسطيني ، بل هو محاولة طموحة لتكون دليل مرحلة آتية ترتسم ملامحها في الافق الفلسطيني المنظور ، الذي لا بد من ان تتعايش فيه جميع وجهات النظر المخلصة للاهداف الاستراتيجية للنضال الفلسطيني المستمر .

اذن ، اهمية هذه المحاولة التي تريد لنفسها أن تضع بعضا من النقاط على بعض حروف النضال الفلسطيني المعاصر ، تنبع من كونها أول محاولة شجاعة على طرق باب موضوع كبير ، ومن كونها محاولة تثير من القضايا والمشاكل اكثر مما تقدم من إجابات قطعية . والكتاب الذي بين ايدينا قادر على طرح نقاش واسع من اجل وضع تصور عام من حول هذا الموضوع ، وكشف القانون الذي حكم مساره منذ مدة طويلة ، والذي سيحكم مساره القادم . كتاب الشعبي يدخل في صلب هذا الطموح ، قد نأخذ منه وقد نرد ، ولكن ذلك لا يلغي كونه محاولة جادة ومفيدة للسباحة في بحر الحقيقية . فكل المراكب مفيدة في هذا البحر بعيداً عن دوافع الشهرة كما يفعل بعض الشكلانيين ، من « الكتاب » الفلسطينيين الذي ارتجلتهم الظروف ، فملاوا الارفف كتبا وكراريس على طريقة التفريخ الارنبي الشائع .

ماذا يقول الكتاب ؟

والان ، وقبل ان نناقش محتوى الكتاب ونبدي ملاحظاتنا عليه ، نرى ان نقدم موجزا له . فماذا يحتوي هذا الكتاب في صفحاته الـ ٢٧٠ الموزعة على مقدمة ومدخل وفصول خمسة وعدد من الملاحق الهامة ؟.

على الرغم من ان بحث موضوع « الوعي الذاتي» وغيره من أشكال الوعي الاجتماعي، يفترض تحليلا شاملا لهذا الوعي في مستوييه المعرفي والسوسيولوجي من خلال تفسير حوامل هذا النوع من الوعي ومحتوياته ودوره في الحياة الاجتماعية ومراعاة القوانين العامة والخاصة التي تحكم عملية التأثير المتبادل بين التشكيلات الاقتصادية ـ الاجتماعية والوعي الاجتماعي في مرحلة تاريخية معينة لمجتمع معين ، فان الشعيبي يدخل رأساً الى موضوعة البحث في الفصل الاول من كتابه والتي تدور حول :**التجربة الكيانية المهيضة** ،فيشير المؤلف الى ان العروبة ببعديها الجغرافي والايديولوجي كانت تعويضا كبيرا للفلسطينيين بعد أن خسروا وحدهم من دون حركات التحرر العربية معركتهم الاستقلالية وبناء كيانهم الوطني . فلم يجدوا غضاضة في اللجوء الى العروبة والانخراط في صفوف مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فتوزعوا ، بعد اقتلاعهم من وطنهم فلسطين عام ١٩٤٨ ، على كافة الولاءات القومية عبر مختلف الاحزاب والمنظمات والاتجاهات القومية المعروفة ، وعبر مساهماتهم المختلفة في معارك توطيد استقلال وبناء بعض الكيانات العربية المختلفة ، والمشاركة البارزة في تنمية وتطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية للبعض الآخر .

بالاضافة الى عمق الاتجاهات العروبية التي شدت الفلسطينيين بعد التشريد مباشرة الى اشقائهم في حركة التحرر الوطني العربية ، شهدت تلك الفترة محاولتين متزامنتين ومتضادتين لتقرير المستقبل الكياني للشعب الفلسطيني ، تركتا أثرا متفاوتا ، ولكنه واضح ، على هذا المستقبل ، لارتباطهما بمجمل التطورات والاحداث السياسية والعسكرية التي انتهت بكارثة ضياع جزء من فلسطين وتشريد سكانه . وفي محاولة من المؤلف لاعادة قراءة النشأة الكيانية وتطوراتها اللاحقة في ميدانيها الفلسطيني والعربي ، نراه يحاول وضع كل من هاتين المحاولتين في المجرى الاساسي لمجمل التطورات التي عبرت بها تلك المرحلة. ولذلك نجده يؤكد أن قرار الامم المتحدة الذي اصدرته في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٧ بشأن تقسيم فلسطين ، كان بمثابة إقرار دولي بحق الشعب الفلسطيني باقامة دولة مستقلة بغض النظر عن الغبن الذي تضمنته تلك الوثيقة الدولية التي يعتبرها فاتحة كبرى لكل التطورات الفلسطينية اللاحقة ، ومنها بالطبع التطورات الكيانية .